﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: 56]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كمال العبوديَّة لله: القيام بحقِّ الخالق وبحقِّ الخَلْق، مع الخوف مِنَ الله ورجاء رحمته

لمّا ذكرَ اللّٰهُ ﷻ واجِبَ العبوديَّةِ في حقِّ الخالقِ بتكليفِ الأمرِ بالدُّعاء، أعقبه بتكليفِ نهيٍ في حقِّ الخَلْق؛ وهو عدمُ الإفسادِ في الأرض، فالأرضُ مِنَ الخَلْقِ، وإفسادُها يُضِرُّ بهم، وختمَ ذلك بتكرير الأمر بالدُّعاء، ليكونَ مبدأُ التَّكليف في التَّوجُّه إليه، ومنتهاه في التَّوجُّه إليه، فمنه وإليه المبدأُ والمنتهى، في كلِّ قَصْدٍ وإرادة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُفۡسِدُواْ﴾: مِنَ الجذر (فسد)، وفَسَدَ الشَّيءُ يفسُد فسادًا وفُسودًا، فهو فاسد وفسيد، والمفسدة: خلاف المصلحة، والاستفساد: خلاف الاستصلاح، وفسد الشَّيءُ: بَطَل واضمَحَلَّ، والفساد: الخروجُ عن حَدِّ الاعتدالِ والاستقامة، وكونُ الشَّيءِ منتفعًا به، قليلًا كان الخروجُ عنه أو كثيرًا، ويُضادُّه: الصَّلاح، ويُستعمل في النَّفس، والبَدَن، والأشياءِ الخارجة عنِ الاستقامة، والمعنى المحوريّ: ذهابُ نفعِ الشَّيء المقصود منه[1]، والمرادُ: النَّهيُ عن إيقاع الفساد[2].

2) ﴿وَطَمَعًاۚ﴾: مِنَ الجذر (طمع)، ويدلُّ على رجاءٍ في القلب قويٍّ للشَّيء، وهو ضِدُّ اليأس، وطمع في الشَّيء طمعًا وطماعَة وطماعيَّة: حَرِصَ عليه ورجاه، والمطمَع: ما طَمِعْتَ فيه[3]، وهو "نُزوعُ

(1) الجوهريُّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (فسد).
(2) الرّاغب، المفردات: (فسد).
(3) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (طمع).

النَّفسِ إلى الشَّيءِ شهوةً له"[1]، فهو عبارةٌ عن شِدَّةِ التَّعلُّقِ بالشَّيءِ باطنًا، والإلحاحِ في ابتغائِه ظاهرًا، والمرادُ: قوَّةُ الرَّجاءِ، والتَّعلُّقِ بثوابِ اللهِ ورحمتِه.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

تنهى الآيةُ عمومَ النّاسِ عنِ الإفسادِ في الأرض، بأيِّ نوعٍ مِنَ الفساد كان، فإنَّ الأرضَ كانت صالحةً بإرسالِ الرُّسلِ ﷺ، وإعمارِها بطاعة اللهِ وحْدَه، وادْعوهُ سبحانه خائفينَ مِن عقابه، طامعينَ في ثوابه[2]، إنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المُحسنين، فكونوا منهم.

النّهي عن الفساد والإفساد، مع الأمر بصدق التّوجه إلى الله

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

علَّةُ إيقاعِ النَّهي بعد جُملةِ التَّعليل في الآية السَّابقة:

"في إيقاع هذا النّهي عقب قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ تعريضٌ بأنَّ المعتدينَ – وهم المشركون – مُفسدونَ في الأرض، وإرباءٌ للمسلمين عن مشابهتهم؛ أي: لا يليق بكم، وأنتمُ المقرَّبون مِن ربِّكم، المأذونُ لكم بدعائه، أن تكونوا مثلَ المُبْعَدينَ منه المُبْغَضينَ"[3].

التّعريضُ بالمشركين بأنّهم مفسدون في الأرض

معنى العطفِ في قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟﴾ عطفتِ النَّهيَ على الأمر، وهو قوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾؛ لِنسَقِه معه، لغرضِ استيفاءِ التَّكليفِ بالأمرِ والنَّهي معًا، بعطفِ المسائلِ الجامعةِ في المأموراتِ والمحظوراتِ بعضِها على بعض، وهي قوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ في الأوامر، وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟﴾ في المناهي.

استيفاءُ التَّكليفِ بالأمر والنَّهي معًا

علَّةُ إيثارِ النَّهي عنِ الإفسادِ دونَ الأمرِ بالإصلاح:

جاء النَّهيُ عنِ الفساد، ولم يجئْ الأمرُ بالإصلاحِ في قوله: ﴿وَلَا

دَرءُ المفاسدِ أولى مِن جَلْبِ المصالحِ

(1) الرّاغب، المفردات: (طمع).
(2) المجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميَّة، المختصر في التّفسير: 214.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/174.

﴿تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾؛ تقديمًا لدَرءِ المفاسدِ على جَلْبِ المصالحِ، وإلْفاتًا لكثرةِ وقوعِ الإفسادِ في بني آدمَ، فنهى عنِ الأكثر، وتنبيهًا على أنَّ إصلاحَ الأرضِ لا يتأتَّى مِن غير دَحْضِ الفسادِ وتنحيتِه، وتأكيدًا على أنَّ النَّفعَ لازمٌ عن إزالة الضَّرر، فإزالةُ الضَّررِ بريدُ النَّفع وتحقيقُه، وليس العكس. وفيه: أنَّ التَّخليةَ قبلَ التَّحلية، وأنَّ تركَ المناهي أبلغُ مِن فعلِ المأمورات، فهو كالأصل له.

غرضُ التَّعبيرِ بالظَّرف في قوله: ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾:

الحضُّ على استبقاء الإصلاح؛ للاحترازِ به عن فسادِ المفسدِين

فائدةُ التَّعبيرِ بالظَّرف: ﴿بَعۡدَ﴾ في قوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾؛ "تقريرٌ لواقع الأمور؛ لأنَّ الفسادَ لا يكونُ إلّا تقويضًا لصالحٍ"[1]، وللتَّنبيه على بشاعةِ تقويضِ أعمالِ المُصلِحين؛ فإنَّ "الإفسادَ بعدَ الإصلاحِ أظهرُ قبحًا مِنَ الإفساد على الإفساد، فإنَّ وجودَ الإصلاحِ أكبرُ حُجَّةً على المُفسدِ، إذا هو لم يحفظه ويجري على سُنَنه، فكيف إذا هو أفسدَهُ وأخرجَهُ عن وضعه؟ ولذلك خصَّهُ بالذِّكر"[2]، وفيه: تحضيضٌ على استبقاءِ هيئةِ الإصلاحِ الحاصلةِ، والتَّنميةِ عليها؛ للاحتراز بها مِن فساد المُفسدين.

نُكتةُ تعقيبِ الأمرِ بالدُّعاءِ النَّهيُ عنِ الإفسادِ:

مَن لم يَعرِفْ ربَّه في الدُّعاءِ، كان أقربَ إلى دائرةِ الإفسادِ

في الأمر بالدُّعاء بعدَ النَّهي عنِ الفساد إيذانٌ" بأنَّ مَن لا يُعرِّفُ نفسَه بالحاجة والافتقار إلى رحمةِ ربِّه الغنيِّ القديرِ، وفضلِه، وإحسانِه، ولا يدعوه تضرُّعًا وخُفْيَةً، ولا خَوفًا مِن عقابه، وطمعًا في غُفْرانه، فإنَّه يكون أقربَ إلى الإفساد منه إلى الإصلاح"[3].

تَكرارُ الأمر بالدُّعاء بينَ الإثباتِ والنَّفي:

تكرار الأمرِ بالدُّعاءِ في قوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾؛ إمّا أن

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/2869.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/410.
(3) رضا، تفسير المنار: 8/410.

نحملَه على التَّكرارِ الحقيقيِّ، فيكونَ غَرَضُه التَّنبيهَ على أصلِ الغايةِ مِنَ العبادة، واقترانِها بمبدأ التَّكليف ومُنتهاه، فالأمرُ بالدُّعاء أوَّلًا: تأسيسٌ لحقِّ العبوديَّة الواجبِ على العبد، وإنباءٌ بكيفيَّته المصروفةِ للّه في القَصْد والتَّعلُّق، والأمرُ بالدُّعاء. ثانيًا: مشفوعٌ بحالة الإنسان الوجوديَّة وحركته في الأرض: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾؛ لتقرير امتزاجِ هذا الغرضِ التَّعميريِّ الإصلاحيِّ، بغاية العبوديّة كذلك، معَ الإنباء بكيفيَّته الجزائيَّة العائدةِ على العبد، فقولُه: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً﴾ كيفيَّةٌ تصفُ القصدَ والتَّوجُّهَ، وقولُه: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ كيفيَّةٌ تُشعِرُ بالعائد الذي تتشوَّفُ له النَّفسُ، وتراقبُ جزاءَه.

الـدّلالـةُ على امتـزاجِ الغرضِ الـتَّـعـمـيريِّ الإصلاحيِّ بغاية العبوديَّة

وإمّا أن نحملَه على التَّكرارِ اللَّفظيِّ لكلمة الدُّعاء دون المُتعلَّق، وحينَئذٍ فلا تكرار؛ لأنَّ مُتعلَّقاتِ الجُمَل مُتباينةٌ، واختلافُ المُتعلَّق يعني اختلافَ المعنى وعدمَ التَّكرار، وبيان ذلك: أنَّه "أمَرَ أوَّلًا بدعائه تضرُّعًا وخُفْيَةً، ثمَّ أمَرَ بأن يكون الدُّعاء – أيضًا – خوفًا وطمعًا، وفصلَ بينَ الجُملتين بجُملتين؛ إحداهما: خبريَّة مُتضمِّنةٌ للنَّهي، وهي قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، والثّانية: طلبيَّةٌ، وهي قوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾، والجملتان مُقرِّرتانِ مُقوّيتانِ للجُملة الأولى، مؤكِّدتان لمضمونها، ثمَّ لمّا تمَّ تقريرُها وبيانُ ما يُضادُّها ويناقضُها، أمرَ بدعائه خوفًا وطمعًا، ثمَّ قرَّرَ ذلك، وأكَّدَ مضمونَه بجملةٍ خبريَّةٍ، وهي قوله: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فتعلُّقُ هذه الجملةِ بقوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾، كتعلُّقِ قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ بقوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾"[1].

اخـتـلافُ المُتعلَّق يقضي باختلافِ مفهوم وجوه الألفاظِ

بلاغةُ الرَّبطِ بينَ مُتعلَّقاتِ الدُّعاء في الآيتين:

قولُه تعالى: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ هو استتمامٌ لشرط حصولِ أثرِ الدُّعاءِ وضمانِ منفعتِه، بعدَ تقرير شَرْطِ صِحَّتِه وإقامته في قوله:

شـرطُ الـدُّعـاءِ مَـقـدَّمٌ عـلى الباعثِ عليه

(1) ابن القيّم، التَّفسير القيّم، ص: 264.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗۚ﴾، وتثنيةً ببيانِ الباعثِ على الدُّعاء: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗاۚ﴾، بعد تعليمهم كيفيَّتَه: ﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗۚ﴾[1].

معنى الواوِ في قوله: ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗاۚ﴾:

اجتماعُ الضِّدَّينِ الباعثَين على الدُّعاء، لا يعني اجتماعَهما في كلِّ دعاء

الواو للتَّقسيم النَّوعيِّ؛ بمعنى: أنَّ الدُّعاءَ على نوعين: "الدُّعاء لأجلِ الخَوفِ؛ نحو: الدُّعاء بالمغفرة، والدُّعاء لأجلِ الطَّمعِ نحو: الدُّعاء بالتَّوفيق وبالرَّحمة"[2]، ويَصِحُّ أن تكونَ للجَمْع، بالنَّظر إلى صِحَّة اجتماعهما في قَلْب الدّاعي، لا بمعنى: أنَّ مَقولَ الدُّعاء لا بدَّ أن يشتملَ على كليهما في آنٍ.

علَّةُ فصلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ﴾:

رحمةُ اللهِ وعدٌ ومكافأةٌ لمَنِ امتثلَ الأمرَ بالدُّعاء

أفادَت جُملةُ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ التّفريعَ والتَّعليلَ لما قبلَها: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾، فجاءَت كالوعدِ والمكافأةِ بعدَها، وانفصلَت عنها بالتَّجرُّد مِنَ العاطِف، واستهلَّتْ بـ ﴿إِنَّ﴾ الدّالَّة على التَّوكيد؛ اهتمامًا بالخَبَر، "ومِن شأن (إنَّ) إذا جاءَت على هذا الوجه، أن تُفيدَ التَّعليلَ، وربطَ مَضمونِ جُملتِها بمضمونِ الجملةِ التي قبلَها، فتُغْني عنِ فاء التَّفريع، ولذلك فُصِلَتِ الجملةُ عنِ التي قبلَها، فلم تُعْطَفْ لإغناء (إنَّ) عنِ العاطف"[3].

نُكْتةُ تذكيرِ لفظِ: ﴿قَرِيبٞ﴾:

إكسابُ الرَّحمةِ قوَّةً تقتربُ بها منَ المحسنين

جاءَ لفظُ ﴿قَرِيبٞ﴾ مذكَّرًا مع أنَّه خبرٌ لمؤنَّثٍ، وهو ﴿رَحۡمَتَ﴾؛ وذلك لاستحضار معنى العزيمةِ والقوَّةِ الكائنةِ في معنى التَّذكير، تناسبًا مع ما في صفة الإحسان مِنَ العَزْم والقوَّة والبِدار والبَذْل والإيثار، ومِن حيثُ المبحثُ اللَّفظيُّ، فقد يُقال: "إنَّ المرادَ أنّه تعالى قريبٌ برحمته مِنَ المحسنين، كما أنَّه قريبٌ بعِلْمِه وإجابته مِنَ

(1) ابن عادل، اللُّباب: 9/160، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/175.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/176.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/176، ومحمد رضا، تفسير المنار: 8/410.

الدّاعين، وكثيرًا ما يُعطَى المضافُ صفةَ المضافِ إليه وضميرَه"[1]، وعند العرب ألفاظٌ يستوي فيها التَّذكيرُ والتَّأنيثُ، كصَبور ومِعْطار وقتيل، فيُقال: (رجلٌ صَبورٌ)، و(امرأةٌ صبورٌ)، و(رجلٌ مِعْطارٌ)؛ أي: يُكْثِرُ استخدامَ العطرِ، و(امرأةٌ مِعْطارٌ)، و(رجلٌ قتيلٌ)، و(امرأةٌ قتيلٌ)، ولا يُقال: (قتيلة) إلّا إذا لم يُذكَر معها كلمةُ امرأةٍ أو يدلَّ على التَّأنيث؛ لأنَّ القتيلَ للذَّكر وللأُنثى.

وسِرُّ التَّذكير: استحضارُ معاني الشِّدَّة والقوَّة التي تضمَّنَتها هذه الأبنيَةُ، فالصَّبر يقتضي الجَلَدَ والعَزْمَ والشِّدَّةَ؛ لذلك لا نقول: (امرأةٌ صبورةٌ)، بل نأتي بالوصفِ المناسبِ للجَلَدِ والشِّدَّة، ولذلك لا نُضْعِفُها بحكايةِ التَّأنيث، وكذلك الرَّجلُ المِعطارُ؛ وهو مَن تعرِفُه النّاسُ مِن نفاذِ رائحةِ عِطْرِه، والمرأةُ مبنيَّةٌ على السِّترِ، فإن تَعَطَّرتْ فهي تَشَبَّهتْ بالرَّجل، فيُقال لها: امرأةٌ مِعْطارٌ.

وعليه: فكلمةُ ﴿قَرِيبٌ﴾ يستوي فيها المُذَكَّر والمؤنّث؛ بدليل أنَّ اللّه قال: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ۝٤﴾ [التّحريم: 4]، والملائكةُ لفظُها لفظُ مؤنَّثٍ، ولم يقُل الحقُّ: (ظهيرة)؛ لأنَّ ﴿ظَهِيرٞ﴾ يعني: مُعين، والمعونة تتطلَّب القوَّةَ والعَزْمَ والمَدَدَ؛ لذلك جاء لها باللّفظ المناسب الّذي يدلّ على القوّة وهو ﴿ظَهِيرٞ﴾. وكذلك قولُه: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فـ (قريب) بوزن: (فعيل)، بمعنى: مفعول؛ أي: الرَّحمة هي المقروبَةُ، والإحسانُ هو الذي يقَرِّب إليها، فيكون (فعيل) هنا بمعنى مفعول، الذي يستوي فيه المُذَكَّرُ والمؤنَّث[2].

تشبيهُ الرَّحمةِ برجلٍ مِعطاءٍ في محلٍّ قريبٍ، لا يَقْرَبُه إلَّا أهلُ الإحسان

بلاغةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّة:

في قوله: ﴿رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وصَفَ الرَّحمةَ بالقُرْب

(1) رضا، تفسير المنار: 8/413.
(2) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4182.

مجازًا؛ لأنَّ الشُّروعَ في الاقتراب مِن صفات العُقلاء، حيث شَبَّه الرَّحمةَ برجلٍ معطاءٍ مرغوبٍ، في محلٍّ قريبٍ منظورٍ، لا يَسْمَحُ لأحدٍ بمجاوَرته والقُرْبِ منه، إلّا أهل الإحسان فقط، ولا يُجالِس أو يُقارِبُ إلّا هُم، فهذه استعارةٌ تمثيليَّةٌ؛ لقَصْدِ تنزيلِ المعقولِ منزلةَ المحسوسِ؛ استدامةً لاستحضاره في النُّفوس، وتنشيطًا لها على إدراكه. "والقُرْبُ حقيقتُهُ: دُنوُّ المكانِ وتجاورُهُ، ويُطلَقُ على الرَّجاءِ مَجازًا، يُقالُ: هذا قريبٌ؛ أي: مُمْكِنٌ مَرجوُّ الحصولِ، وليس بقُرْبِ مكانٍ"[1].

إقامة الظَّاهر مقام المُضمَر في: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

عند تحقُّق الإحسانِ تَتَنزَّلُ الرَّحمةُ

أتى النَّظْمُ بوصف ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فلم يَقُل: (إنَّ رحمتَ اللهِ قريبٌ منكم)، بعدَ قولِه: ﴿وَٱدْعُوهُ﴾؛ للنَّصِّ على مادَّة الإحسانِ والتّصريحِ بها؛ تأسيسًا لاطِّراد الإحسان مع رحمة الله، فمتى أحسنَ أحدٌ رُحِم؛ وتقريرًا لكونِ الجزاءِ مِن جنسِ العملِ، فكَما أنَّ الرَّحمةَ إحسانٌ مِنَ اللهِ، فكذلك لا ينالُها إلّا المحسنون، فاحتجَّ للتَّنصيص والتَّصريح.

توجيهُ المخصوصِ بالذِّكرِ في لفظِ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

غايةُ الإحسان أن يجمعَ العبدُ بين مقامي الخوفِ والطَّمعِ

في قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ذكرتِ الآية الطّمعَ وهو رغبةٌ قويّةٌ لدى المخلوقِ في تحصيل الإحسان، كما أنّ الإصلاح المذكور في الآية إحسانٌ للموجودات، فلمّا اشتملتِ الآيةُ على الإحسانِ مِنَ الخالقِ بذِكْرِ الطَّمعِ، وعلى الإحسانِ مِنَ الخَلْقِ بعدمِ الإفسادِ والحِفاظ على صلاح الأرض، روعيَ في فاصلةِ الختمِ ملاحظةُ المَطلَع وهو الإحسان.

وأمرٌ آخَرُ دلاليٌّ: وهو أنَّ الجمعَ بين باعثِ الخوفِ والطَّمعِ بما عند الله تعالى؛ هو غايةُ ما يَصِلُه العبدُ العابدُ لله تعالى مِنَ الإحسانِ في عبادته، فلا طَمَعُ التُّجارِ وحدَه، ولا خَوفُ العبيدِ وحدَه، بل بكليهما يجتمعُ في قلبِ العبدِ الإحسانُ، وعالي درجةِ الإيمانِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/177.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الخَوْف)، (الخَشْيَة):

مُتعلَّقُ الخوفِ استقباليٌّ، ومُتعلَّق الخشيةِ حاليٌّ، وكلاهما يظهر أثرُه على الجوارح

الخوفُ: توقُّعُ المكروهِ بسببِ أمارةٍ معلومةٍ أو مظنونةٍ[1]، وغالبًا يكون من ضَعْفِ الخائفِ، وإن كان المَخوفُ أمرًا يسيرًا[2]، وهو قلبيٌّ نفسانيٌّ يَحمِلُ على حركةِ البَدنِ بالفِرارِ والانتشارِ، أو الكَفِّ والاحترازِ.

الخشيةُ: خوفٌ مَشوبٌ بتعظيمٍ[3]، يمنعُ مِن ارتكابِ ما يُسبِّبُ المكروهَ، ويبعثُ على الامتثالِ والانقيادِ، حتَّى وإن كانَ الخاشي قويًّا[4]، فهو سكونٌ وانقباضٌ عن التَّوجُّه إلى الإبايَة أو العِصيان[5]، وأكثرُ ما يكون ذلك عن عِلْمٍ بما يُخشَى منه، ولذلك خَصَّ العلماءَ بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28][6].

والفرقُ بينهما: أنَّ مُتعلَّقَ الخوفِ استقباليٌّ، ومُتعلِّقَ الخشيةِ حاليٌّ، وكلاهما يظهر أثرُه على الجوارحِ، وأثرُ الخوفِ: قَلْقَلَةٌ وعدمُ قرارٍ، وأثرُ الخشيةِ: سكينةٌ، وكلاهما مانعٌ عن ملابسةِ سببِ المكروه، والعِلْمُ في الخشية أحضرُ منه في الخَوْف، والتَّعظيمُ في الخشية ألصَقُ منه في الخوف، وقد قُرِنَ الخوفُ هاهنا بالطَّمع دون الخشية؛ لأنَّ كلًّا مِنَ الخَوفِ والطَّمَعِ مُتَعلِّقُهُما في المستقبل؛ ولأنَّ اقترانَ الخوفِ مع الطَّمعِ مُؤذِنٌ بتوليد الخشيةِ؛ ولأنَّ الأمرَ بإظهارِ الضَّراعةِ سابقٌ عليه، والتَّضَرُّعُ مَلْزومُه الخشيةُ.

(الطَّمَعُ)، (الرَّجاءُ):

الرَّجاءُ بدايةُ الطَّمَعِ، والطَّمَعُ غايتُه

الطَّمعُ: تطلُّعُ القلبِ الشَّديدِ لنيلِ المرغوبِ القريبِ، ويكون بسببٍ وعن غيرِ سببٍ، وعَبَّر عن وقوعِه بغير سببٍ الرّاغبُ الأصفهانيُّ

(1) الرّاغب، المفردات: (خوف).
(2) النّزهيُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 22.
(3) الرّاغب، المفردات: (خشي).
(4) النّزهيُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 22.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/480.
(6) الرّاغب، المفردات: (خشي).

بقوله: "نزوعُ النَّفس إلى الشَّيء شهوةٌ له"؛ أي: بحسب الهوى، لا بسببٍ مُعتَبَرٍ، ولذا قد يأتي مذمومًا؛ كقوله تعالى: ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [المعارج: 38]، كما يأتي في سياقِ المدحِ، ويُلْمَحُ فيه معنى هوى النَّفْسِ، كشاهدِ الآيةِ هاهنا: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾، فعَبَّر بالطَّمع دونَ الرَّجاء؛ لتذهبَ النَّفْسُ مذاهبَها في كلِّ ما تهواه مِن ربِّها، ولاقترانِه بالدُّعاء؛ ليَدلَّ على أنَّ الدُّعاءَ بابُه بابُ طمعٍ لا رجاءٍ، والطَّمعُ أوسعُ مِنَ الرَّجاء، كذلك الدُّعاءُ أوسعُ أبوابِ العبوديَّةِ، وليَدلَّ على أنَّ الدُّعاءَ لا يُعْتَمَدُ فيه على الأسبابِ، ولا يُعلَّقُ عليها، ولذا اقترنَ بالطَّمع الذي يكونُ مِن غير سببٍ ومِن غير استحقاقٍ، وليَدلَّ على أنَّ الطَّمعَ في الدُّعاءِ هو السَّببُ الذي يحبُّه اللهُ، لأجلِ تحصيلِ ما ليس للعبد فيه استحقاقٌ ولا سببٌ.

والرَّجاءُ: إرادةُ المرغوبِ مُقترنًا بخوفِ فواتِه، ولذا كان الخوفُ والرَّجاءُ متلازمَين، وأُطلِق الرَّجاءُ على الخوفِ، قال الفرّاءُ: "إنَّما يوضَع الرَّجاءُ مَوضِعَ الخوفِ؛ لأنَّ معَ الرَّجاء طَرَفًا مِنَ الخوف"[1]، ويكونُ الرَّجاءُ عن سببٍ يدعو إليه[2]، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح: 13]، فذكر السَّببَ، وهو قولُه بعدَه: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾ [نوح: 14]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 218]، فذَكرَ السَّببَ في صَدْر الآية، والرَّجاءُ وإنِ اقترنَ بخوف فواتِ المطلوبِ، فهو مُقْتَرِنٌ بغَلَبةِ ظَنٍّ في حُصوله[3]؛ لأنَّ معنى الأملِ والخَوفِ يتواردان عليه في آنٍ، كأنَّما يُغذّيانِ مادَّتَه[4].

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 1/286.
(2) النُّزهيُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 174.
(3) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 1/561.
(4) الخليل، العين: 6/176، والأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: 11/125، والعسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 244، وابن الجوزيِّ، نزهة الأعين، ص: 308.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»